له رجل إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاما ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد وقال واﷲ لا ألبسها حتى ترجع إلي بخبرهم فذهب الرجل مسرعا بما أرسله على يديه إليهم ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير فسر بذلك ولبس ثيابه وجيء إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها فأرسلها كلها إلى المساجد وكانت كثيرة جدا فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه وكان كثير التواضع مع الناس خاصتهم وعامتهم ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال يا رسول اﷲ قال اﷲ تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا اﷲ واستغفر لهم الرسول لوجودوا اﷲ توابا رحيما وها أنا قد جئتك أستغفر اﷲ من ذنوبي وارجو شفاعتك يوم القيامة ثم مات من يومه ذلك C تعالى ودفن في البقيع .

القاضي أبو بكر الشاشي .

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي ولد سنة أربعمائة وتفقه ببلده ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة وقدم بغداد فتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث وشهد عند ابن الدامغاني فقبله ولازم مسجده خمسا وخمسين سنة يقرئ الناس ويفقههم ولما مات الدامغاني أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدي القضاء وكان من أنزه الناس وأعفهم لم يقبل من سلطان عطية ولا من صاحب هدية ولم يغير ملبسه ولا مأكله ولم يأخذ على القضاء أجرا ولم يستنب أحدا بل كان يباشر القضاء بنفسه ولم يحاب مخلوقا وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة إذا قامت عنده قرائن التهمة حتى يقروا ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا وقد صنف كتابا في ذلك ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن واستشهد له بقوله تعالى إن كان قميصه قد من قبل الآية وشهد عنده رجل من كبارالفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغاني فلم يقبله لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب فقال له المدعي إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب فقال القاضي الشاشي واﷲ لو شهدا عندي على باقة بقلة ما قبلتهما ولرددت شهادتهما وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله فقال لأي شيء ترد شهادتي وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت فقال له لا أقبل لك شهادة فإني رأيتك تغتسل في الحمام عريانا غير مستور العورة فلا أقبلك توفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين

سنة ودفن بالقرب من ابن شريح